ماهية المادة عند الطبيعيين الأوائل وفلاسفة المغرب

الباحثة/ أسماء مرتضى محمد المهدي.

الملخص:

منذ أن وُجِدَ الإنسان بدأ معه التفكير الإنساني، عندما أخذ يتأمل ذاته وكونه القريب والبعيد، بعقله وحواسه، ومنذ بدأ أن يفكر في أصل الأشياء وتغيُّرها، وذلك منذ عصور الإغريق القديمة، ولا سيما عصر ما قبل **سقراط** بداية من القرن السادس قبل الميلاد علي يد **طاليس** الحكيم، فهو مَن بدأ الحديث عن أصل الأشياء والعالم.

منذ ذلك الحين بدأ التفكير في ماهية المادة التي جُبِلت منها الأشياء، حيث كان يسود قبل ذلك النزعة الأسطورية والخرافات على التفكير البشري، فقد كانت في نظرهم هي التي تكوَّن الأشياء والعالم، حتى ظهر رجال لم تستطع هذه الإرهاصات الدينية الإجابة على ما كان يشغلهم، ولذلك عمدوا إلى البحث عن إجابات، فكان لهم السبق في الحديث عن المادة وماهيتها، والقول بأنها مبدأ تكوَّن الأشياء.

ثم بعد ذلك ظهر مع **أرسطو** مصطلح الهيولي، وهو مصطلح قُرِنَ بالمادة، حيث كان مرادفًا للمادة، وكان له تأثير كبير على فلاسفة الإسلام وغيرهم ممَن تبِع **أرسطو**، ثم بدأ هذا المصطلح – أيَّ المادة– يتلاشى رويدًا رويدًا في العصر الحديث تحت تأثير علميَّ الكيمياء والفيزياء، عندما أثبت العلم أن المادة ليست كتلة صماء، بل طاقة منتظمة مرتبة في نماذج معينة، يمكن تجزئتها إلى ذرات، وتجزئة الذرة إلى مكونات أصغر منها؛ البروتونات، والنترونات، والإلكترونات، وهذه تتكون من جسيمات أصغر، ولذا لم يَعُد هذا المصطلح موجود.

Abstract:

Since man existed, human thinking began with him, when he contemplated himself and his near and far universe, with his mind and senses, and since he began to think about the origin and change of things, since the ancient Greeks, especially the pre-Socratic era beginning in the sixth century BC at the hands of Thales. The wise, he is the one who started talking about the origin of things and the world.

Since then, he began to think about the substance from which things were created, as before that the mythical tendency and superstition prevailed over human thinking, as it was in their view that things and the world were made up, until men appeared who these religious precursors could not answer to what was preoccupying them, and therefore They deliberately searched for answers, so they took the lead in talking about matter and what it is, and saying that it is the principle of the formation of things.

After that, the term cytoplasm appeared with Aristotle, a term that was associated with matter, as it was synonymous with matter, and it had a great influence on Islamic philosophers and others who followed Aristotle, then this term - i.e. matter - began to fade slowly in the modern era under the influence of chemistry and physics. , when science proved that matter is not a solid mass, but rather regular energy arranged in certain models, which can be divided into atoms, and the atom can be divided into smaller components; Protons, neutrons, and electrons are made of smaller particles, so that term is no longer in use.

المقدمـــة:

حاولت العلوم الجزئية أن تأتي بحلول علمية لبعض المشكلات الفلسفية القديمة، كما فعلت مع مشكلة أصل الوجود وتكوّن الأشياء والعالم، فالإنسان بطبعه منذ أقدم العصور ما زال يحاول الإجابة على هذا السؤال، فقد تكون الإجابة التي أجاب بها القدماء عن هذا السؤال ذات قيمة كبيرة لهم ولمَن أتى بعدهم، حيث حاول الفلاسفة قديمًا وحديثًا توضيح مصطلح المادة التي قال بها القدماء إنها أصل ومبدأ الأشياء، وعلى الرغم من إن بينهم تقارب في المعنى إلا أنهم اختلفوا فيما بينهم، لذا يتناول هذا البحث دراسة مصطلح المادة عند الفلاسفة الطبيعيين الأوائل وفلاسفة المغرب، وتتكون الدراسة من:

مقدمة وثلاثة مطالب، فالمقدمة تشمل الحديث عن ماهية المادة في القرآن الكريم والسنة النبوية، والمطلب الأول يتحدث عن المادة لغةً، بينما المطلب الثاني يتحدث عن المادة اصطلاحًا؛ وتشمل المادة عند الفلاسفة الطبيعيين الأوائل، وفلاسفة المغرب عامة. والمطلب الثالث وفيه ماهية الهيولي لغةً، واصطلاحًا؛ عند الفلاسفة الطبيعيين الأوائل، وفلاسفة المغرب.

إن القرآن الكريم هو الأصل الأول من أصول اللغة العربية، لم يرد فيه لفظ (مادة) صراحةً، أما في السنة النبوية لم يرد فيها هذا اللفظ، لذا سنكتفي بما ذكر في القرآن الكريم، حيث ورد الأصل اللغوي لكلمة (مادة)؛ من مادةِ (م د د/ م د)؛ في كثير من آياتِ القرآن الكريم؛ يحمل في مدلولهِ عدة معانٍ، منها: الإستطالة، والإمداد، والزيادة، كما في مدَّ الجيش بالعدة والعتاد، وأمددْتُ الجيش بمدد، أيَّ إمدادهم بالطعام والشراب، وذكر هذا الأصل في آياتِ تحمل طياتها معنى الخير، وأخرى تدل على الشر والمكروه.

في قول الله تعالى:﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[1] نجد إنَّ الله – سبحانه وتعالى– عندما صبَّر رسوله صلى الله عليه وسلم، أمره بأن يسبح الله، واتبع ذلك بنهيه عن مدَّ عينيه إلى ما متَّع به القوم، فقال تعالى:﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾، وفيها مسائل؛ أولها المراد منه نظر العين، ومدُّ النظر أيَّ تطويلهُ. وثانيهما: قال أبو مسلم الذي نُهي عنه بقوله:﴿وَلَا تَمُدَّنَّ

1) سورة طه، الآية ١٣١.

عَيْنَيْكَ﴾، ليس المقصود هو النظر، بل هو الأسف أيَّ لا تأسف على ما فاتك مما نالوه من حظ الدنيا.[1]

وأتت كلمة مدَّ/ مدَّدَ؛ بمعنى الزيادة في قوله تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2] أنه لما قال الله تعالى: لله ما في السماوات والأرض، وكان ذلك موهمًا لتناهي ملكه، لانحصار ما في السموات وما في الأرض فيهما، وحكم العقل الصريح بتناهيهما بيَّن أن في قدرته وعلمه عجائب لا نهاية لها، فقال: ولو أنَّما في الأرض من شجرة أقلام يكتب بها، والأبحر مداد، لا تفنى عجائب صنع الله. وأكثر ما جاء الإمدادُ/ أمدَّ في المحبوب والخير، نحو قوله تعالى:﴿وَأَمْدَدْناهُمْ بِفاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾[3] أيَّ زدناهم مأكولًا ومشروبًا، والمدَّ في المكروه والشر، نحو قوله تعالى:﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۝٧٩﴾[4] ونمد له من العذاب مدًّا؛ أيَّ نطوّل له من العذاب ما يستأهله، ونزيده من العذاب ونضاعف له من المدد.[5]

المطلب الأول: المادة في اللغة:-

الأصل اللغوي لكلمة **(مادَّةُ)** هي من مادة (م د) أو(م د د) فالميم والدال أصل واحد، من الفعل مَدَّ ومَدَّد وامْتَدَّ، ويدل على جرَّ شيء في طول، واتصال شيء بشيء في استطالة،[6] ويقول الخليل بن أحمد: "إن المادَّةُ هي كل شيء يكون مددًا لغيره، فيقال: دَعُوا في الضَّرْعِ مادَّة اللبن، والمتروك في الضَّرْعِ هو الدَّاعية، وما اجتمع إليه هو المادة".[7] وعند أبي بكر الرازي وابن منظور المادَّةُ هي الزيادة المتصلة[8]، وهي التي

---

1) انظر: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ، جـ٢٢، ص١١٤.

2) سورة لقمان، الآية ٢٧.

3) سورة الطور، الآية ٢٢.

4) سورة مريم، الآيات ٧٧ –٧٩.

5) الرازي، **التفسير الكبير**، ج٢١، ص٥٦٣.

6) أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، **مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت– لبنان، المجلد الخامس، ص٢٦٩. وانظر أيضًا:– زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي المتوفى (٦٦٦هـ)، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت– صيدا، الطبعة الخامسة، المجلد الأول، ص٢٩٢. وأيضًا:– العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي المتوفى(٧١١هـ)، **لسان العرب**، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، المجلد الثالث، ص٣٩٦. وأيضًا:– مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفى ٨١٧هـ، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م، المجلد الأول، ص٣١٩.

7) الخليل بن أحمد الفراهيدى، **معجم العين**، ترتيب وتحقيق: د/ عبد الحميد هندواى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٣م/ ١٤٢٤هـ،ج٤، ص٢١٧. وانظر أيضًا:– ابن منظور، **لسان العرب**، ص٣٩٦ –٣٩٨. وانظر أيضًا:– محمد بن محمد بن عبد الرّزاق الحسيني أبو الفيض، الملقب بـ مرتضى الزَّبيدي المتوفى (١٢٠٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، المجلد التاسع، ص١٦٢. **والمعجم الوجيز**، تصدير للدكتور إبراهيم مدكور، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٠ه/ ١٩٨٠م، مجمع اللغة الغربية. ص٥٧٥.

8) **مختار الصحاح**، الرازي، ص٥٤٤. وانظر أيضًا:– **لسان العرب**، ص٣٩٦ –٣٩٧.

يحصل معها الشيء بالقوة،[1] والمادَّة والمدد هو: ما تمدَّ به الناس، ليستعينوا به على أمر، وكذا ما تمد به الجيش من عتاد. ومنه المدَّةُ للوقت الممتدَّ، ومدَّ النَّهر، ومَدَّه نهرٌ آخرُ، ومددْتُ عيني إلى كذا، ومددْتهُ في غيِّه، ومددْت الإبل أيَّ سقيتها المديد- وهو بزرٌ ودقيقٌ يخلطان بماء، والمدَّ أيَّ الجذبُ، والمدُّ؛ كثرة الماء أيام المدود، هكذا قالته العرب، والمادة: أعراب الإسلام، وأصل العرب وهم الذين نزلوا البوادي، ومدَّ الله في عمركَ: أيَّ جعل لعمرك مدهُ طويلة، أيَّ الإمتداد في الطول، وامتدَّ بهم السير أيَّ طال. وسبحان الله مداد كلماته من المدَّ لا من المداد الذي يكتب به، ولكن معناه على قدَّر كثرتها وعددها.[2]

و**مادَّة الشيء**؛ أيَّ أصوله وعناصره، فهي تلك العناصر التي تتكون منها المادة، حسية كانت أم معنوية؛ كمادة الخشب، ومادة البحث العلمي.[3] والمعنى الأخلاقي للفظ **(المادة)**؛ وهو الفعل الذي يقوم به الفاعل، بصرف النظر عن نيته وقصده، كالممرض الذي يخطئ فيعطى مريضه سمًا قاتلًا بدلًا من إعطاءهِ عقارًا منومًا، فهو لا يعد قاتلًا إلا من حيث مادة الفعل أما من حيث صورة الفعل فهو برئ من جريمة القتل.[4]

المطلب الثاني: المادة في الإصطلاح الفلسفي:-

أولًا: المادَّة عند الفلاسفة الطبيعيين الأوائل:

المادة عند الفلاسفة الطبيعيين كانت تمثل المبدأ الأول الذي منه نشأت الأشياء، فهي الأسطقسات أيَّ العناصر الأربعة الموجودة في الكون وهي: الماء والهواء والتراب والنار، وقد أُطْلِقَ على هؤلاء- أيَّ الطبيعيين الأوائل- أصحاب المذهب المادَّي؛ واتفق هؤلاء على أن للمادة صفات منها؛ أنها حيَّة مشتملة في داخلها على روح الحياة، وأنها مكتفية بنفسها وليست في حاجة إلى خالق يخلقها، وأن هذه الروح منشأ جميع الحركات، والإستحالات والتطورات التي نشاهدها على المادَّة، وأنها مختلفة في صورها وتركيباتها، وهي التي تؤلف الوجود كله فلا شيء يوجد غير المادَّة، وأن ما قد يبدو في

1) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني(ت: ٨١٦هـ)، **التعريفات**، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٣ه/ ١٩٨٣م.ص٢٠٥. وأيضًا: الزبيدي، **تاج العروس**، المجلد التاسع، ص١٦٢.

2) الفراهيدي، **معجم العين**، ص١٢٦- ١٢٧.

3) الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، المجلد الثالث، الطبعة الأولى، عالم الكتب، سنة ١٤٢٩ه/ ٢٠٠٨م، المجلد الثالث، ص٢٠٧٧. **والمعجم الوجيز**، ص٥٧٥.

4) د/ جميل صليبا، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية**، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، ١٩٨٢م، ج٢، ص٣٠٨.

الظاهر مخالفًا لذلك إنما هو صفة للمادة، أو وظيفة من وظائفها في حقيقة الأمر إن لم يكن وهمًا تخيله البعض وجعلوا له خطأً صفة الوجود.(١)

وأن كل جزء من أجزاء الطبيعة فيه حياة، وأظهر ما تتضح فيه هذه الحياة من أجزاء المادة هو المغناطيس– كما قال **طاليس**– عندما نشاهده يجذب الحديد،(٢) فقد كان **طاليس** ديناميكيًّا يرى أن المادَّة حيَّة ذاتية، وأن حركتها منبعثة من داخلها، وأن جوهرها هو الماء.(٣) ثم أتي بعده **انكسيمانس** وأضاف صفة الألوهية للمادة، حيث كان يَعِدُ المادة حيَّة، وكان يحسب تبعًا لذلك أن مادته أيضًا تتصف بالحياة، وأنها لمَّا كانت تسود كلَّ الكائنات فهي كالآلهة سواء بسواء.(٤) أما عند **(انكساغوراس)** فرأى أن المادة هي المبدأ المنفعل، في حين أن العقل هو المبدأ الفعال، كما قال أن المادة مركبة، على خلاف العقل فإنه بسيط متجانس في أجزائه.(٥)

وكان فلاسفة الإغريق يعتقدون أن المادة هي واقع ممتلئ غير قابل للاحتراق، ولا للتقسيم إلى ما لا نهاية، ويضيفون أنه في وقت ما تصبح قطع المادة غير قابلة للتقسيم، لذلك حاول **ديمقريطس** أحد مادي العصور القديمة– وهو الذي بنى نظرية الذرة، أيَّ ما لا يقبل تقسيمًا– أن يعطي تفسيرًا ماديًا للكون، فكان يعتقد أن جسم الإنسان مكون من ذرات خشنة، وكان يقول إنَّ الآلهة نفسها مكونة من ذرات غاية في النعومة.(٦)

ومصطلح – مادَّة– من وضع **أرسطو** حيث فَطِنَ إليه من تحليل التغير، فارتأى أن المادة لا تدرك مباشرة وإنما بالمماثلة، وصعوبة هذه المعرفة مردودة إلى أنها خارج نطاق المعرفة، فليس ثمة شيء يبقى بعد نزع جميع كيفيات الموجود، ثم إن المادة ليست من بين المقولات لأنها لا تحمل على شيء ولكنها قوة كما أن الصورة فعل، ومن هذه الزاوية فهي من بين العلل الأربع، وهي أيضًا مبدأ التفرد، ثم هي تشبه الجوهر ولكنها ليست جوهرًا لأنها تفتقر إلى خاصيتي الجوهر الأساسيتين: إذ هي ليست موجودًا قائمًا بذاته، كما أنها ليست فردًا.(٧)

---

1) انظر:– د/ حسن الشافعي، **المدخل إلى الفلسفة العامة**، دار البصائر، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ، ص٦٥. انظر أيضًا:– د/ يوسف كرم، ود/مراد وهبه، ويوسف شلاله، **المعجم الفلسفي**، مطابع كوستاتوماس وشركاه، القاهرة، ١٩٦٦م، ص١٤٦.

2) د/ محمد غلاب، **الفلسفة الإغريقية**، الجزء الأول، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٣٨م، ص٣٠.

3) محمد غلاب، **المرجع السابق**، ص٣٢.

4) انظر: د/ عبد الرحمن بدوي، **ربيع الفكر اليوناني**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٤٢م، ص١٠١ – ١٠٢.

5) د/ كريم متى، **الفلسفة اليونانية**، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧١م ص٦٥–٧٠.

6) جورج بوليتزار، **مبادئ أولية في الفلسفة**، نقلته إلى العربية: د/ فهمية شرف الدين، وضبط مصطلحاته الفلسفية: د/ موسى وهبه، دار الفارابي، بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة، ٢٠٠١م، ص٦٨.

7) مراد وهبه، **المعجم الفلسفي**، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧، ص٥٥٣ –٥٥٤.

والمادة عند **أرسطو** والمدرسين هي كلمة يونانية الأصل، ويراد بها المادة الأولى، وهي كل ما يقبل الصورة، وهي قوة محضة، ولا تنتقل إلى الفعل إلا بقيام الصورة بها.[١] كما عرَّف **أرسطو** المادَّة تعريفين مختلفين سلبًا وإيجابًا، فقال في التعريف الأول المادَّة هي ما ليست جوهر ذلك الشيء ولا امتداده، ولا عرضه، ولا نوعًا آخر من الأمور الوجودية العارضة له، ومن هذا التعريف مادة الخشب مثلًا ليست امتداد هذا الخشب ولا صورته ولا لونه ولا جسمه ولا صلابته ولا يبسه، ولا غير ذلك من الأعراض التي في هذا الخشب. أما التعريف الإيجابي وهو أن المادَّة هي مبدأ تركيب الأشياء ومنتهى تغييراتها، لكن يرد عليه أنه لم يستفد من تعريفه أيَّ شيء، سوى أن الأشياء التي على أصل الخلقة مركبة من المادة والأصل الأول، وكان يزعم أن المادة تقبل القسمة إلى غير نهاية.[٢]

وبذلك تكون المادَّة في الاصطلاح الأرسطي والمدرسي: هي المعنى المقابل للصورة، ولها بهذا المعنى وجهين:-

١) فهي تدل على العناصر غير المعينة التي يمكن أن يتحدد ويتألف منها الشيء، وتسمى مادة أولى MatierePremiere أو الهيولي Hyle، وهي إمكان محض قابل للصورة بصورة مطلقة من غير تخصيص بصورة معينة، لكنها لا تنتقل إلى الوجود بالفعل إلاَّ بقيام الصورة فيها.

٢) تدل على المعطيات الطبيعية والعقلية المعينة القابلة للإعداد والتهيئة بوجود مختلفة، حيث يعمل الفكر على اكتمال وإنضاج هذه المعطيات، فكل موضوع يقبل الكمال بانضمامه إلى غيره فهو مادة، وكل ما يتركب منه الشيء فهو مادة لذلك الشيء حسيًا كان أو معنويًا.[٣]

ثانيًا: المادة عند فلاسفة الإسلام:-

اتفق ابن سينا والغزالي على أن المادَّة اسم مرادف للهيولي،[٤] وتقال المادَّة لكل موضوع يقبل الكمال باجتماعه إلى غيره وورود عليه يسيرًا يسيرًا، مثل المنيّ والدم لصورة الحيوان، فربما كان ما يجامعه من نوعه وربما لم يكن من نوعه،[٥] ويضيف

---

1) **المعجم الفلسفي**، تصدير: د/إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٧٩م، ص١٦٣ -١٦، و ص٢٠٨.

2) ديوجين لايرتيوس، **مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلسفة**، ترجمة عبد الله حسين، تقديم مصطفى لبيب عبد الغني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦، ص١٢٢-١٢٣.

3) **شرح المصطلحات الفلسفية**، إعداد: قسم الكلام (في مجمع البحوث الإسلامية)، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية، إيران- مشهد، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، العدد:١٠٠٠ نسخة، ص٤٠٣. وأيضًا: د/جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ص٣٠٦.

4) د/ عبد الأمير الأعسم، **المصطلح الفلسفي عند العرب** (الحدود عند الغزالي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م، والطبعة الأولى، بغداد، ١٩٨٥م، ص٢٩٢. انظر أيضًا:- **نفس المرجع** ، (رسالة في الحدود، ابن سينا)، ص٢٤٤.

5) **المصطلح الفلسفي عند العرب**، (رسائل الحدود لابن سينا)، ص٢٤٥. وانظر أيضًا:- **نفس المرجع**، (الحدود عند الغزالي)، ص٢٩٢.

ابن سينا أن المادَّة وإن كانت سببًا للجسم، فإنها ليست بسبب يعطي الوجود، بل سبب يقبل الوجود.[1] وعند أبي البقاء الكفوي من الإمداد: وهو تأخير الأجل، وأن تنصر الأجناد بجماعة غيرك، والإعطاء، والإغاثة،[2] وقيل: ما كان على جهة القوة والإعانة يقال فيه: أمدَّه إمدادًا، وما كان على جهة الزيادة يقال فيه: مده مدًا، ومنه:﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.[3] [4]

ويذكر الكفوي رأيًا لمتأخري المنطقيين فيقول إن المادة عندهم هي عبارة عن كيفية كانت لنسبة المحمول إلى الموضوع إيجابًا كان أو سلبًا، وأما رأى المتقدمين منهم إنها عبارة عن كيفية النسبة الإيجابية في نفس الأمر بالوجوب والإمكان والامتناع،[5] فهي الحدود التي تتألف منها القضية، أو تطلق على القضايا التي يتألف منها القياس، فمادَّة القضية هي الموضوع والمحمول اللذان تتألف منهما، أما صورتها فهي النسبة بين الموضوع والمحمول، وتنقسم بهذا الاعتبار إلى كلية وجزئية، موجبة وسالبة، وبذلك تكون المادة في اصطلاح الفلاسفة، تشمل على عدة معان منها:-

١) ما كان لها وجود خارج الذهن وتدرك بواحدة من الحواس الخمس.

٢) هي الجسم الطبيعي الذي نتناوله على حالة ثم يتحول إلى حالة أخرى لغاية معينة، مثل المرمر الذي يصنع منه التمثال.[6]

ثالثًا: المادة عند فلاسفة المغرب:-

الدارس لموضوع الطبيعة عند **ابن الصائغ** يفطن إلى أن موضوعها هو الجسم الطبيعي، ويستند- هذا الجسم الطبيعي- إلى مبادئ أساسية في وجوده وصلته بغيره من الأجسام ولواحقه وأعراضه بحيث إنه لا يمكن تفسيره تفسيرًا طبيعيًا إلا إذا تم تحليل هذه المبادئ في ضوء دراسة الجسم الطبيعي، وذلك سعيًا وراء تفسير أحوال وظواهر العالم، والذي يعد الجسم الطبيعي جزءًا من أجزائه، فالجسم يتركب من المادة والصورة، لذا نقول إن المادة عند **ابن باجة** تحمل عدة معانٍ مترادفة،[7] وهي:-

---

1) الإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨هـ، **الملل والنحل**، صححه وعلّق عليه: الأستاذ أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ=١٩٩٢م، ص١٨٦.

2) أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (١٠٩٤هـ)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه: د/ عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م، ص١٨٧.

3) سورة لقمان، الآية ٢٧.

4) **الكليات**، ص١٨٧.

5) **المرجع السابق**، ص٨٦٥.

6) د/ جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ص٣٠٦- ٣٠٧.

7) د/ زينب عفيفي، **ابن باجة وآراؤه الفلسفية**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م= ١٤٣٠هـ، ص١٣٠.

١) الهيولي الأولى: حيث يطلق **ابن باجة** هذا الاسم على الهيولي الأولى المشتركة الكائنة الفاسدة، وهي بالقوة ذلك الشيء الذي من شأنها أن تقبله، وهي في غير ذاتها غير مصورة لكنها مقترنة بصورة، فلذلك يوجد لها أبدًا أحد الأضداد، فالهيولي لا تتحدد إلا بالصورة التي تتقبلها، لأنها عندئذ تكتسب هوية تلك الصورة وإذا تلبست صورة بعد خلع صورة اكتسبت هوية الصورة الجديدة التي قد تكون نقيض الصورة الأولى، ولكنها في كل الأحوال لا تخلو من صورة أبدًا، فالمادة هنا هيولي بالنسبة إلى الصورة المعدومة الموجودة فيها بالقوة، وهذه الهيولي قد تكون قريبة وقد تكون بعيدة.

٢) الأجسام البسيطة الأولية: وهي الأرض، الماء، الهواء، النار، حيث يقول **ابن باجة:** إن المادة قد تكون غير مصورة بالذات، فالمكوَّن منها جسم بسيط والأجسام البسيطة أربعة.

٣) المادَّة المحسوسة: وهي كالألوان، والأطوال، والأشكال، وصور الجواهر الطبيعية وهذه كلها أشباه موجودة في المواد، فإذا وجدت في المواد صارت هي والمواد واحدة بالعدد متغايرة بالقوة، والمادة الأولى هي كل واحدة من هذه بالقوة.

فالمادة بذلك عند **ابن باجة:** تدعى(الهيولي) بالنسبة إلى الصور المعدومة الموجودة فيها بالقوة، وتدعى (موضوعًا) بالنسبة إلى الصورة الموجودة فيها بالفعل، فإن المادة لما تصورت بصورة، صارت موضوعًا لها، وهي مادة غير مصورة في وجودها،[1] ويذكر **ابن باجة** أن في ماهية المادة الأولى- وهي الصورة الأولى- أنها تارة تظهر أنها صورة للاسطقسات، وتارة تظهر أنها أخرى منزلتها من الصورة منزلة المادة الأولى من سائر المواد، وأنها هي الصورة البسيطة، أو الصور البسائط، وهي التي تتصور وتوجد في مادة لا صورة لها، وهي المادة الأولى، والصورة الأولى أول صورة تحصل في المادة فهي الصورة معها في المادة، كما أن المادة الأولى لا مادة لها، وأول صورة تحصل في المادة الأولى هي صورة الاسطقسات، لأن الاسطقسات بسائط الموجودات، وذلك لأن مادتها بسيطة وصورتها بسيطة.[2]

ثم أتى بعده الفيلسوف **ابن طفيل** وذكر في قصته الشهيرة (حيَّ بن يقظان) أن المادَّة أو ما يطلق عليها الهيولي، وهي الامتداد الموجود في الأقطار الثلاثة؛ الطول

1) د/ زينب عفيفي، **المرجع السابق ذكره**، ص١٣١.

2) محمد بن يحيى بن باجة، وقد يعرف بابن الصائغ، أبو بكر التجيبى الأندلسي السرقسطى (المتوفى: ٥٣٣هـ)، **رسائل فلسفية**، ص١٠.

والعرض والعمق، وأن جميع الأجسام سواء كانت حية أو غير حية، يسودها شيء واحد هو الامتداد الموجود في جميعها في الأقطار الثلاثة، وهذا الامتداد وحده لا يمكن أن يقوم بنفسه، كما أن ذلك الشيء الممتد، ولا يمكن أن تقوم دون امتداد، واعتبر ذلك ببعض هذه الأجسام المحسوسة ذوات الصور، وقال على ذلك مثال الطين، فقد كان له طول وعرض وعمق على قدر ما، ثم إن كرة الطين تلك لو أخذت وتحولت إلى شكل مكعب مثلًا، لتبدل ذلك الطول والعرض والعمق، وصارت على قدر آخر، غير الذي كانت عليه، على الرغم من أن الطين واحد بعينهِ لم يتبدل.

وفطِن إلى أن الجسم بما هو جسم مركب على الحقيقة من معنيين: أحدهما يقوم منه مقام الطين للكرة، والآخر يقوم مقام الطول والعرض والعمق للكرة، ولا يفهم الجسم إلا مركبًا من هذين المعنيين، وإن أحدهما لا يستغنى عن الآخر، والذي يمكن أن يتبدل على أوجه كثيرة، وهو معنى الامتداد يشبه الصورة التي لسائر الأجسام ذوات الصور، والذي يثبت على حال واحدة وهو الذي ينزل منزلة الطين يشبه معنى الجسمية التي لسائر الأجسام ذوات الصور، وهذا الشيء يطلق عليه النظار المادة أو الهيولي،[1] وبذلك تكون المادَّة والهيولي عند **ابن طفيل** مترادفان، ويؤيد **ابن طفيل** رأي **أرسطو وابن باجة** في أن المادة لا توجد دون الصورة، والصورة لا توجد دون المادة، وأن الهيولي هي مادة غير مصورة.[2]

كما يذكر أنَّ أول مراتب الوجود المطلق "الهيولي وهي المادة الأولى"، فهو من أجل ذلك أرِسطوطاليسي الاتجاه، وهذه الهيولي شبيهة بالعدم إذ لا صورة لها البتة ولا شيء من الحياة فيها، ولا يمكن أن يسبق عليها وجود مادَّي ما، ويلي الهيولي في مراتب الوجود المطلق الأسطقسات (العناصر الأربعة): الماء والهواء والتراب والنار، وهي أول المظاهر الطبيعية، وأول مراتب الوجود في عالم الكون والفساد، والمادة وحدها لا تكفي لتحقيق الوجود بل لا بد لها من صور تتبدى(تلك المادة) فيها، إذ يقول في قصته حيَّ بن يقظان: "من أجل ذلك كانت المادة من كل جسم مفتقرة إلى الصورة، إذ لا تقوم (المادة) إلا بها (أيَّ الصورة)، ولا تثبت لها (للمادة) حقيقة دونها (دون الصورة)...".[3]

---

1) الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود، **فلسفة ابن طفيل وقصة حي بن يقظان**، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م، ص١٣٩-١٤١. والشيخ كامل محمد محمد عويضة، **ابن طفيل الأندلسي**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الولى، ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م، ص١٠٤-١٠٥.

2) انظر: د/ محمد عاطف العراقي، **الميتافيزيقا في فلسفة ابن طفيل**، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م، ص٨٤ – ٨٥.

3) د/ عمر فروخ، **ابن طفيل**، دار لبنان للطباعة والنشر، ١٩٥٩م، ص٩١٤- ٩١٥.

ثم جاء **ابن رشد** وقال تمشيًا مع رأي **أرسطو** الذي جاء في السماع الطبيعي، أن المادة هي:"الموضوع الأقصى لجميع الكائنات الفاسدات، ليس فيه شيء من الفعل أصلًا ولا له صورة تخصه"، فالمادة بهذا المعنى مبدأ هيولاني لا وجود له بذاته، بل بالصور التي تتعاقب عليه، ومن هذه المادة تحدث الموجودات الأولى أو الأسطقسات الأربعة: الماء والنار والأرض والهواء، ثم يتصف بكل منها إحدى الطبائع الأربع: الحار والبارد، والرطب واليابس، ثم يستند إليها إحدى الحركات الطبيعية الأولى، وهي من فوق إلى تحت، ومن تحت إلى فوق، ومن ثَم تحدثُ الأجسام المركبة عن الأجسام البسيطة وينتج التركيب من فعل الكيفيات الأولى المضادة السابقة الذكر، فالثقل والخفة والتخلخل والكثافة...إلخ، هي الكيفيات المنتجة، إذ إنها تدرك بالحس منها ما هو فاعل ومنها ما هو منفعل، والفاعل كالحرارة والبرودة، والمنفعل كالرطوبة واليبوسة،[1] فالمادة بهذا المعنى مبدأ هيولاني ولا وجود له بذاته بل بالصور التي تتعاقب عليه.

ويذكر **ابن رشد** أن الجميع أقرَّ بأن المادة جوهر، وإن اختلفوا في طبيعة هذا الجوهر، فيقول:".. أما أمر المادة فمقر به عند الجميع أنها جوهر وإن كانوا اختلفوا في ماهيتها أعني المادة الأولى، فبعضهم جعل المادة الأولى غير مصورة بالذات وبعضهم جعل المادة الأولى مصورة بالأبعاد..".[2] ويرى **ابن رشد** أن هناك فرقًا بين الهيولي والتي هي المادة الأولى، وبين المادة المخصوصة في هذا العالم التي تخص كل موجود على حدة، فالهيولي تقبل جميع ما يناسبها من الصور، بينما المادة الخاصة لا تقبل إلا صورتها الخاصة.[3]

الفرق بين المادَّة والهيولي:-

بعد دراسة مصطلح المادَّة اتضح لنا إنه قُرِنَ بمصلح آخر وهو الهيولي، فقد اختلفت آراء الفلاسفة في الربط بين مصطلحي المادة والهيولي، حيث رأى بعضهم أن المادة تختلف عن الهيولي في المعنى، وذلك لأن أحدهما سبب وجود الآخر وسابق له، والبعض الآخر كان يرى أنهما مترادفان ويحملان نفس المعنى، لذا سنحاول أن نوضح مصطلح الهيولي لغةً واصطلاحًا، وذلك لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف بينه وبين المادة، وفي بداية بحثنا نذكر أن مصطلح الهيولي هو مصطلح أرسطي، حيث ظهر مع **أرسطو** عندما قال إن الجوهر مركب من الصورة والهيولي، ولقد تناولنا ماهية المادة في

1) ابن رشد، **رسالة ما بعد الطبيعة**، تقديم وضبط وتعليق: د/ جيرار جهامي، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص٦.
2) ابن رشد، **تلخيص ما بعد الطبيعة**، ص٦٢.
3) ابن رشد، **رسالة السماع الطبيعي**، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ص٣٥.

القرآن الكريم والسنة النبوية، وذكرنا أن المادة لم ترد في القرآن ولا السنة النبوية صراحةً، كذلك نقول إن الهيولي لم ترد في الذكر الحكيم والسنة النبوية.

أولًا: الهيولي لغةً: وهي من مادة (ه ي ل)، هالَ، يَهِيلُ، هَيْلًا، أَهالَهُ، وَهَيَّلَه. والهيول، كصبور: أيَّ الهباء المنبث، وهو ما تراه في البيت من ضوء الشمس، يدخل من الكوة،[1] والهيولي لغةً مختلفة عن المادة في اللغة التي تحمل في مدلولها معانٍ عديدة كالزيادة، والإمداد، فلكل منهما مدلولًا لغويًا خاصًا.

ثانيًا: الهيولي اصطلاحًا:

أ) الهيولي عند الفلاسفة الطبيعيين الأوائل:

وسبق أن ذكرنا أن أول ما ظهر هذا المصطلح ظهر مع **أرسطو**، لذا لن نجده عند السابقين عليه، ولكن من الممكن أن نجد تشابهًا في المعنى لديهم، وهو ما دفع **أرسطو** إلى القول به، وذكر **أرسطو** أن الهيولي غير المادة المصورة التي يمكن إدراكها بالحس، فيقول: إذا تأملنا فيما هو بالقوة في العين المشخص، ألفينا أنه الهيولي، ولكن يجب أنْ ينتبه إلى أنَّ هذه الهيولي ليست هي المادَّة المصورة المحسة في هذا العين في حالته الراهنة، بل هي الهيولي المستعدة لقبول الصورة المقبلة، غير أنه لما كانت الهيولي غير محددة، وكان من غير الطبيعي أن يكون في العين المشخص شيء غير محدد، فقد وجب أن لا توجد الهيولي بالفعل في المشخصات إلا محدودة بالصورة، وإذ ذاك تسمى مادَّة، أما ما بالقوة فهو يوجد فيها غير محدد ثم تتعاقب عليه التحديدات واحدًا بعد واحد تحقيقًا لمرمى العلة الغائية، مثال ذلك الحجر فهو بالفعل مادَّة محددة بصورة التربيع أو الإستطالة مثلًا، وهو مشتمل بالقوة على الهيولي تحددها صورة التمثال أو التابوت، ومن هذا يتضح أن الهيولي هي مادة لا تزال بالقوة، والمادة هي هيولي صارت بالفعل.

والهيولي هي منشأ التعريف المنطقي للكائن، وكذلك يتضح أن الجوهر ليس هو إحداهما وإنما هو كلتاهما مجتمعين– أيَّ الصورة والهيولي– والهيولي مشتملة على جميع الصور وأن كل ما يبرز منها يحدد المادة، ويصيرها بالفعل بالنسبة إليه، وإن كانت تظل بالقوة بالنسبة إلى غيره من الصور الكامنة، وأن الهيولي من عالم العقل لأنها

1) الزَّبيدي، **تاج العروس**، الجزء ٣١، ص ١٧٢ – ١٧٣.

بالقوة ولأن الحس لا يقع إلا على ما هو بالفعل وأنها أزلية أبدية، وأنها موجودة في كل كائن أرضي وسماوي حتى الأفلاك والكواكب.[١]

ويصف أرسطو الهيولي بأنها شيء موجود بذاته وأنها غير موجود بالعَرَضَ، وأنها موجودة بالقوة، وغير موجودة بالفعل، فإن كانت صفة الهيولي على ما ذُكِرَ كان الكون منها لا محالة، ويعلق الإسكندر الإفروديسي أن الهيولي موجودة بذاتها لأنها في طبيعتها شيء ما، وهي غير موجودة لأنها في طبيعتها شيء ما، وهي بالعَرَض لأن العَدَم هو بذاته غير موجود بذاته. وهي عَرَض في الهيولي، أعني أنه لا يمكن أن يكون في الهيولي شيء، إنه لم يعرض فيها عدم ذلك الشيء المكوّن، والهيولي موجودة بالقوة، أعني أنها هيولي بالقوة للشيء المكوّن، وليست له هيولي بالفعل، لأنه لا يكون بعد المكوّن، فإنه لو كانت هيولي بالفعل لما كان ذلك الشيء واقعًا تحت الكون ألبتة.

ويعلق الإفروديسي أيضًا أن هاتين الصفتين التي وَصَفَ الحكيم **أرسطو** الهيولي بهما يختلفان، وذلك لأن إحداهما أخذت من أيس[٢]- يعني القوة- الكون الذي هو قبل الشيء المكوّن الهيولي، فإن طبيعة الهيولي أن تكون بذاتها غير موجودة وأن تكون بالعَرَض غير موجودة، أعني من أجل العدم العارض لها. أما الصفة الأولى فأُخِذَت من تهيؤها لقبول الكون، أعني أن الهيولي متهيئة لقبول كون الشيء والاستحالة إليه، وإن لم تكن على حال المكوَّن وهيئته والاستحالة إليه لما كان ذلك واقعًا أيضًا تحت الكون، لأنه ليس شيء ما لم يكن كونه يكون ألبته.[٣]

والهيولي هي القابلة للصورة المعينة،[٤] أما عند الحكماء هي شيء قابل للصور مطلقًا من غير تخصيص بصورة معينة ويسمّى بالمادة، وهي ماهيات الأشياء، وهي شيء تظهر فيه صور الأسماء، وذلك ما يسمّيه الصوفية الأعيان الثابتة، والمتكلّمون: حقائق الأشياء، وتنقسم الهيولي عند القدماء إلى أربعة أقسام وهي:-

١) الهيولي الأولى: وهي جوهر غير جسم، قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال، محل للصورة الجسمية.

٢) الهيولي الثانية: وهي جسم قام به صورة، كالأجسام بالنسبة إلى صورها النوعية.

---

1) د/ محمد غلاب، **الفلسفة الإغريقية**، الجزء الثاني، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٣٨م، ص٧٦ – ٧٨.

2) أيس = وجود.

3) د/ عبد الرحمن بدوي، **شروحات على أرسطو مفقودة في اليونانية**، دار المشرق، بيروت –لبنان، ١٩٧١م، ص٤٤ – ٤٥.

4) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى: ٩١١هـ، **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، تحقيق: أ. د/محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م=١٤٢٤هـ، الجزء الأول، ص١٣١.

٣) الهيولي الثالثة: وهي الأجسام مع الصور النوعية التي صارت محلًا لصور أخرى، كالخشب لصورة السرير.

٤) الهيولي الرابعة: وهي أن يكون الجسم مع الصورتين، محلًا للصورة، كالأعضاء لصورة البدن.

وجملة القول إن الهيولي الأولى جزء الجسم، والثانية نفس الجسم، والثالثة والرابعة فالجسم جزء لهما.[١]

ب) الهيولي عند فلاسفة الإسلام:

يقول الكندي إن الهيولي هي قوة موضوعة لحمل الصور منفعلة،[٢] ويتفق ابن سينا والغزالي على إن الهيولي المطلقة هي جوهر، ووجوده بالفعل إنما يحصل لقبول الصورة الجسمية لقوة فيه قابلة للصور، وليس له في ذاته صورة تخصه إلا معنى القوة، وإنها تقال لكل شيء من شأنه أن يقبل كمالًا ما، وأمرًا ليس فيه، فيكون بالقياس إلى ما ليس فيه هيولي، وبالقياس إلى ما فيه موضوع، فمادة السرير موضوع لصورة السرير،[٣] وعند الجرجاني الهيولي هي لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة، وهي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال، محل للصورتين الجسمية والنوعية.[٤] والهيولي لها أسماء باعتبارات مختلفة؛ وهي:-

١) فهي قابلة من جهة استعدادها للصور.

٢) وهي مادة وطينة من جهة توارد الصور المختلفة عليها.

٣) وهي عنصر من جهة ابتداء التراكيب منها.

٤) وهي اسطقس من حيث إن التحليل ينتهي إليها.[٥]

ويذكر الكفوي أنها جوهر بسيط لا يتم وجوده بالفعل دون وجود ما حل فيه، وقد شبه الأوائل طينة العالم به، لأن الهيولى أصل لجميع الصور، وهو في اصطلاحهم موصوف بما وصف أهل توحيد الله بأنه موجود بلا كمية ولا كيفية ولم يقترن به شيء من سمات الحدوث ثم حلَّت به الصفة واعترضت به الأعراض فحدث منه العالم.[٦]

---

1) أحمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي المتوفى: بعد ١١٥٨هـ، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، الطبعة الأولى، تقديم وإشراف ومراجعة: د/ رفيق العجم، تحقيق: د/علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د/عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د/جورج زيناني، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون،الطبعة الأولى، ١٩٩٦م،جـ٢، ص١٧٤٧ -١٧٤٩.

2) د/ عبد الأمير الأعسم، **المصطلح الفلسفي عند العرب**، (الحدود عند الكندي)، ص١٩١.

3) **المصطلح الفلسفي عند العرب**، (رسالة في الحدود، ابن سينا)، ص٢٤٤ -٢٤٥. وانظر أيضًا:- **نفس المرجع**، (الحدود عند الغزالي)، ص٢٩١.

4) جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج٢، ص٥٣٦. وورد أيضًا في: الجرجاني، **التعريفات**، ص٢٧٩.

5) د/ جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج٢، ص٥٣٦ -٥٣٧.

6) أبو البقاء الكفوي، **الكليات**، ص٩٥٥. وانظر أيضًا:- الزبيدي، **تاج العروس**، ص١٧٤.

وقال بعضهم: إن الهيولي معدوم بالعَرض موجود بالذات، والمعدوم معدوم بالذات موجود بالعرض إذ يكون وجوده في العقل على الوجه الذي يقال إنه متصور في العقل، والهيولي محل لجوهر، والموضوع محل لعرض ما لصورة. فالهيولي صانع ويسمى الطبيعة؛ وهي العناصر الأربعة.

وهيولي الكل هي الجسم المطلق الذي يحصل منه جملة العالم الجسماني، أعني الأفلاك والكواكب، والهيولي الأولى: يستحيل خلوها عن الصورة كلها إلا أنها في حد ذاتها خالية عنها، أيَّ ليست مأخوذة مع شيء منها. أما الهيولي الثانية كالجسم المطلق للوسائط والعنصر للمواليد وليست خالية عن الصور كلها، وقد اختلف القوم في الهيولي الأولى؛ وهو الجوهر البسيط الذي لا يتم وجوده بالفعل دون وجود ما حل فيه، فذهب المتكلمون وطائفة من الحكماء المتقدمين **كأفلاطون** إلى أنها غير متحققة، بل الجسم إما مركب من الجزء كما هو مذهب الملليين- أيَّ **طاليس** وتلامذته- أو نفس الامتداد الآخذ في الجهات كمذهب القدماء.

وقال جمهور الفلاسفة: إنها متحققة، والغرض من إثبات الهيولي نفي الاختيار عن الباري تعالى، إذ لو ثبت الهيولي لا بد من أن تكون قديمة (وهي لا تنفك عن الصورة الجسمية التي هي علة لوجود الهيولي فلا بد من أن تكون الصورة قديمة)، فيلزم الصورة النوعية للأجسام بالنوع فيلزم قدم أصول العالم من هذه الأصول، وتؤدي هذه الأصول إلى كون الواجب موجبًا بالذات.[1]

ج) الهيولي عند فلاسفة المغرب:

الهيولي عند **ابن باجة** مرادفة للمادة، وأنها في غير ذاتها غير مصورة لكنها مقترنة بصورة، وهي عندما تتحد بالصورة التي تتقبلها تكتسب هوية تلك الصورة. أما عند **ابن طفيل** فقد وافق **ابن باجة** في أنها مرادفة للمادة، وقال إنها الامتداد في الجهات الثلاثة؛ الطول والعرض والعمق، والهيولي عنده هي أولى مراتب الوجود المطلق فهو بذلك أرسطي وأنها شبيهة بالعدم لا صورة لها ولا شيء من الحياة فيها.

وعندما تعرض **ابن رشد** للهيولي أثناء تلخيصه لمقولات **أرسطو**، ذكر أنها تقال على مراتب؛ فمنها الهيولي الأولى: وهي غير مصورة، ومنها ما هي ذوات صور، كالحال في الأسطقسات الأربعة التي هي هيولي الأجسام المركبة، وهذا النوع من الهيولي على ضربين: أحدهما هذا الضرب الذي ذكرناه، ويخصه أنه ليس يُفسد

1) **الكليات**، المرجع السابق، ص٩٥٥ – ٩٥٦.

الصورة التي فيها كل الفساد عند حلول الصور الأخرى، بل توجد فيها صورة الهيولي بنحو متوسط وذلك على ما تبين في كتاب (الكون والفساد). والضرب الثاني: تبقى فيه الصورة عند ورود الصورة الثانية عليها، كالاستعداد الذي يوجد في بعض الأجسام المتشابهة الأجزاء لقبول النفس، وهذه (أخصَّ باسم الموضوع)، وقد يقال: إن أجزاء المركب من جهة الكمية هيولي المركب وبهذه الجهة يطلق القائلون بالأجزاء التي لا تتجزأ عليها اسم الهيولي فهذه هي الوجوه التي يقال عليها الهيولي في الفلسفة.[١]

وقد فرَّق **ابن رشد** بين المادَّة والصورة، فالمادَّة هي الشيء الذي هو بالقوة، الشيء الذي سيكون بالفعل والحد، أما الصورة فهي بالفعل والماهية، والشخص المحسوس هو المؤتلف من هذين،[٢] لذا الصورة لديه أحق باسم الطبيعة من الهيولي؛ لأنها هي الفاعل والهيولي هي القابل، والفاعل مقدم بالرتبة والفعلية على القابل والمفعول، والشيء يكون هو هو موجود بالفعل بسبب وجود الصورة على الأساس، فهي الغاية في الكون، وأن الهيولي والمواد موجودة ليس من أجل ذاتها ولكن لأجل الصورة، ومن ذلك تكون المادة عنده هي الهيولي، ويطرح **ابن رشد** سؤالًا أن الطبيعة لو كانت مستغنية عن الصورة لكان الصواب في قول الطبيعيين القدماء، أيَّ إن المادة مكتفية بذاتها فلا تحتاج حينها إلى فاعل، بل يحدث الكون عن طريق الاتفاق والصدفة وهذا ما يرفضه **ابن رشد**.[٣]

1) ابن رشد، **تلخيص ما بعد الطبيعة**، ص٣٠.

2) ابن رشد، **تلخيص ما بعد الطبيعة**، مرجع سبق ذكره، ص٦٢.

3) ابن رشد، **السماع الطبيعي**، ص٤١.

الخاتمة:

في النهاية نخلص إلى أن الفلسفة الطبيعية المادَّية التي آمنت بالمرئي وأعادت تكوَّن الأشياء والعالم إلى المادَّة، كانت هي الفكرة المسيطرة في عصر ما قبل **سقراط**، حيث جاء فلاسفة حاولوا الرد على التساؤلات التي تم طرحها عن أصل ومبدأ العالم بالملاحظة والمشاهدة، فكانت إجاباتهم ترتكز على الطبيعة الخارجية، فكانت المادة هي أصل تكوَّن العالم، حيث كانت آنذاك تُعني الاسطقسات الأربعة؛ الماء والهواء والنار والتراب.

وقد كانت هذه المادة تتصف بالألوهية؛ وذلك لأنها تتصف بالحياة وبأن داخلها روحًا، وهي صفة من صفات الآلهة، وكانت هذه الروح هي التي تحرك الأشياء وتغيَّرها، وكان أول مَن قال بذلك هو **طاليس** الحكيم، ثم تبعه في ذلك تلميذه، إلى أن جاء **أرسطو** وقال بأن هناك مصطلحًا سابقًا على المادَّة وهو "الهيولي" وهي مادة بالقوة، وأن المادَّة هي هيولي صارت بالفعل، ومنذ ذلك الحين قُرِنَ مصطلح الهيولي مع مصطلح المادة.

فقد أثرت الفلسفة اليونانية على فلاسفة الإسلام والمغرب، حيث نجد هذا التأثير عند فلاسفة المشرق عندما قال ابن سينا: إن المادة هي سبب الجسم، ولكن ليست سبب الوجود، أي أن شيئًا ما هو سبب وجودها، فهو بذلك يقصد الروح التي في داخلها، التي قال بها **طاليس**، وكذلك نجد بعض فلاسفة المشرق والمغرب قد اتفقوا على أن مصطلح الهيولي الذي قال به **أرسطو** مرادفة للمادة، كذلك **ابن رشد** يتفق مع **ابن طفيل** على أن المادة لا توجد دون الصورة، وكذلك الصورة لا توجد دون المادة، حيث قال: إن المادة مبدأ هيولاني لا وجود له بذاته بل بالصور التي تتعاقب عليه، وهذا نجده عند **أرسطو** أيضًا، وكل ذلك يوضح مدى تأثير الفلسفة اليونانية على فلاسفة الإسلام عامة، وفلاسفة المغرب خاصة.

المصادر والمراجع:

١) ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد، (١٩٥٨م)، تلخيص ما بعد الطبيعة، ترجمة: عثمان أمين، القاهرة، مكتبة لسان العرب.

٢) ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد، (١٩٩٤م)، رسالة ما بعد الطبيعة، الطبعة الأولى، تقديم وضبط وتعليق: د/ جيرار جهامي، بيروت، دار الفكر اللبناني.

٣) ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد، رسالة السماع الطبيعي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر اللبناني.

٤) ابن زكريا، أبي الحسن أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، بيروت –لبنان، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل،المجلد الخامس.

٥) ابن منظور، العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على الأنصاري الرويفعي الإفريقي المتوفى(٧١١هـ)، (١٤١٤هـ)، لسان العرب،الطبعة الثالثة، بيروت، الناشر: دار صادر، المجلد الثالث.

٦) الأعسم، د/ عبد الأمير، (١٩٨٩م)، المصطلح الفلسفي عند العرب، الطبعة الثانية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٧) بدوي، د/ عبد الرحمن، (١٩٤٢م)، ربيع الفكر اليوناني، الطبعة الثالثة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

٨) بدوي، د/ عبد الرحمن، (١٩٧١م)، شروحات على أرسطو مفقودة في اليونانية، بيروت – لبنان، دار المشرق.

٩) التهانوي، أحمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي المتوفى: بعد ١١٥٨هـ، (١٩٩٦م)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، الطبعة الأولى، تقديم وإشراف ومراجعة: د/ رفيق العجم، تحقيق: د/علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د/عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د/جورج زيناني، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، الجزءالثاني.

١٠) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: ٨١٦هـ)، (١٤٠٣هـ=١٩٨٣م)، التعريفات، الطبعة الأولى، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت – لبنان، الناشر: دار الكتب العلمية.

١١) جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر المتوفى: ٩١١هـ، (٢٠٠٤م=١٤٢٤هـ)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، الطبعة الأولى، تحقيق: أ. د/محمد إبراهيم عبادة، القاهرة، مكتبة الآداب، الجزء الأول.

١٢) جورج بوليتزر، (٢٠٠١م)، مبادئ أولية في الفلسفة، الطبعة الخامسة، نقلته إلى العربية: د/ فهمية شرف الدين، وضبط مصطلحاته الفلسفية: د/ موسى وهبه، بيروت – لبنان، دار الفارابي.

١٣) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، الطبعة الثالثة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، جـ٢٢.

١٤) الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي المتوفى (٦٦٦هـ)، مختار الصحاح،الطبعة الخامسة، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت – صيدا، الناشر: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، المجلد الأول.

١٥) الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف، المفردات في غريب القرآن، تم التحقيق والإعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الجزء الثاني.

١٦) الشافعي، د/ حسن، (١٤٣٣هـ)، المدخل إلى الفلسفة العامة، الطبعة الأولى، دار البصائر.

١٧) شرح المصطلحات الفلسفية، (١٤١٤هـ)، إعداد: قسم الكلام (في مجمع البحوث الإسلامية)، الطبعة الأولى، إيران – مشهد، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية، العدد:١٠٠٠ نسخة.

١٨) شرح المصطلحات الفلسفية، إعداد: قسم الكلام (في مجمع البحوث الإسلامية)، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية، إيران- مشهد، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، العدد:١٠٠٠ نسخة.

١٩) صليبا، د/ جميل، (١٩٨٢م)، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، بيروت –لبنان، دار الكتاب اللبناني، الجزء الثاني.

٢٠) العراقي، د/ محمد عاطف،(١٩٧٩م)، الميتافيزيقا في فلسفة ابن طفيل، الطبعة الأولى، القاهرة، دار المعارف.

٢١) عمر، الأستاذ الدكتور أحمد مختار، (١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، الطبعة الأولى، عالم الكتب، المجلد الثالث.

٢٢) عويضة، الشيخ كامل محمد محمد، (١٤١٣هـ=١٩٩٣م)، ابن طفيل الأندلسي فيلسوف الإسلام في العصور الوسطى، الطبعة الأولى، بيروت– لبنان، دار الكتب العلمية.

٢٣) غلاب، د/ محمد، (١٩٣٨م)، الفلسفة الإغريقية، الطبعة الأولى، القاهرة، الجزئين الأول، والثاني.

٢٤) الفراهيدي، الخليل بن أحمد،(٢٠٠٣م= ١٤٢٤هـ)، معجم العين، الطبعة الأولى، ترتيب وتحقيق: د/ عبد الحميد هندواى، بيروت –لبنان، دار الكتب العلمية، الجزؤ الثالث.

٢٥) فروخ، د/عمر، (١٣٧٨هـ=١٩٥٩م)، ابن طفيل، دار لبنان للطباعة والنشر.

٢٦) الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب المتوفى ٨١٧هـ، (١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م)، القاموس المحيط، الطبعة الثامنة، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، بيروت –لبنان، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، المجلد الأول.

٢٧) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسي الحسيني المتوفي ١٠٩٤هـ=١٩٨٣م، (١٤١٩هـ=١٩٩٨م)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الطبعة الثانية، بيروت –لبنان، قابله على نسخة خطَّية وأعده للطبع ووضع له فهارسه: د/عدنان درويش، ومحمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة ناشرون.

٢٨) محمود، الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم، (٢٠٠٠م)، فلسفة ابن طفيل وقصة حي بن يقظان، القاهرة، دار غريب للنشر والتوزيع.

٢٩) مرتضى الزَّبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرَّزاق الحسيني أبو الفيض المتوفى (١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، المجلد التاسع.

٣٠) المعجم الوجيز، (١٤٠٠هـ=١٩٨٠م)، تصدير للدكتور إبراهيم مدكور، الطبعة الأولى، مجمع اللغة الغربية.